الفكر الجمالي في الفلسفة البرجماتية

د.إيلاف سعد البصري
الجامعة المستنصرية–كلية التربية الأساسية

المقدمة

تسعى الشعوب التي تريد ان تجد لها مكاناً على خارطة الأرض الى ان تضع العلم في مكان الصدارة ، حيث تأخذ بالكم الهائل من التطور العلمي والتقني والذي يتصف في ضوء منظومة العقل بالتجربة والدليل .

ونتيجة للتوسع والانفجار المعلوماتي والتكنولوجي ، اصبحت النظرة العلمية ضرورة من ضرورات المجتمعات المتحضرة والمعاصرة لذلك يمكن الجزم بأن عصر التلقائية والعشوائية قد انقضى وحلت محله النظرة العلمية التجريبية في تسيير دفة الحياة بكافة ميادينها ، وهذا بالطبع لا يحول دون دخول هذا الفكر البرجماتي علم الفن .

ان طبيعة الحقائق والإدراك والافكار والمعاني والتجارب والاحاسيس التي ينهض الانسان بأعبائها ويتطور من خلالها انما هي نتيجة تراكم خبرات وهذا التقدم والتواصل الفكري مع مستجدات الحياة انما تأتي كأحدى ضرورات الفكر البرجماتي الذي يؤمن بالتطور والنفعية بما يخدم مصلحة الانسان ، لأنه يعد شكل من اشكال العلاقة بين الانسان كأداة ترتبط بسواها من الأدوات المتمثلة بالاشياء والاشخاص لتكون نسيجاً يوحد بين الأفكار والفرضيات وانماط السلوك في المجتمع الواحد .

ان منطلقات الفكر البرجماتي تهدف اساساً الى المشاركة في الخبرة العملية، وهذا ينعكس على الفكر الجمالي البرجماتي الذي يعد احد ركائز النظام الذي يتطلع نحو النفعية وارضاء المصالح وسد حاجات الكائن الحي . وقيمة العمل الفني يعتمد بالدرجة الأساس على اسلوب العارض وامكانية استغلال كافة الإمكانيات الشكلية التي لا تؤثر ولا تهدد حرية الابداع والشروط اللازمة لنهوض العمل الفني الحقيقي .

ان الصلة التي تجمع الفكر البرجماتي بالفن ليست وليدة الحاضر فالبرجماتية احد الجسور التي تعتمد العلم والتجريب كتقنية . وفي العملية الابداعية تلتحم ادوات الفنان المادية وفق تصوراته للوصول الى الانفعال وهو النتيجة النهائية التي يسعى اليها كل فنان .

يتمثل الغرض الرئيسي للفن من وجهة نظر الفلسفة البرجماتية بمدى قدرة الفنان للافصاح عن مكنوناته الداخلية وايصالها الى المتلقي . ان منطلقات الفكر البرجماتي الجمالية انما تقوم على فكرة العمل ، فقيمة أي فكرة تكمن في فائدتها العملية ، وبذلك تكون قيمة الفكرة بنتائجها وعليه فقد وجدت الباحثة ضرورة تحليل اهم المنطلقات الفلسفية الفكرية المعرفية التي تستند عليها البرجماتية واثرها في الفكر الفني الجمالي.

وقد جاء تقسيم البحث الحالي على النحو الآتي ، اشتمل الفصل الأول على دراسة المعنى الاكاديمي للبرجماتي بالرجوع الى جذورها التاريخية واهم ما يميز هذا الاتجاه الفلسفي عن غيره من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة . في حين تناول الفصل الثاني موقع الفلسفة البرجماتية في المعرفة البشرية ، اما الفصل الثالث فقد تناول الفكر الجمالي برجماتياً والذي انعكست ملامحه من خلال الوعي بالجميل وصناعة الجمال والعملية الابداعية ، والتي قادتنا الى جملة من النتائج التي ذكرناها تفصيلياً في الفصل الرابع ، والتي كان من بينها إذا لم يكن اهمها ان البرجماتية ما هي الا طريقة في الحياة ووسيلة للحصول على المعرفة النافعة التي لا تخلو من قيم جمالية تحقق الاشباع والاكتفاء لمواجهة تحديات الحياة .

الفصل الأول: الأسس التاريخية للفلسفة البرجماتية

قبل الدخول في تفاصيل الأسس التاريخية للفلسفة البرجماتية لا بد من تعريف اكاديمي للفكر الفلسفي البرجماتي وماهية البرجماتية Pragmatism والتي تنطلق منها (الذرائعية) فلسفة العمل والخبرة التي نحن بصددها فالبراجما " كلمة اغريقية تعني الشيء اوالظاهرة او الفعل الذي يعمل ، أي الذي ينتج بواسطة الفاعل والذي غالباً ما يكون الانسان ، وتختلف دلالتها حسب المجال الذي تكون فيه كالفلسفة واللسانيات والاتصال"[١]، على إن سمتها الغالبة تظل توجهها العملي. ونتيجة لتداخل حقولها بحقول مجاورة فقد ظهر لها الكثير من الترجمات في اللغة العربية ومنها التبادلية و الاتصالية والنفعية الى جانب الذرائعية ، فالبراجماتية في اللغة "الاستشراق العملي" [٢]. في حين

[١] الرويلي ، ميجان وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ص ١٠٠ .

[٢] البعلبكي ، منير ، المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ٧١٤ .

انها في اللفظ اليوناني يطلق عليها برغما Pragma ومعناه العمل الذي يؤدي الى المزاولة والتطبيق الفعلي. اما المعنى الاصطلاحي للكلمة فهو يطلق على الفكر الذي ظهر في امريكا في القرن التاسع عشر عام ١٨٧٨ عند تشارلس ساندرس بيرس (C.S. Peirce) تحت لفظ البراجماطيقية ، وتطور فيما بعد عند كل من وليم جيمس (William James)، بلفظ البرجماتية وانتشر في امريكا واوربا الى ان وصل الى قوته عند الفيلسوف الامريكي المعاصر جون ديوي (John Dewey) تحت لفظ الوسيلة او الادائية [١].

دخل في اطار الفلسفة البراجماتية عدد من المشتغلين وبموقف يمكنه ان يقارب بين مواقفهم ازاء تناولهم افكار فلسفية بالدراسة والتحليل، للوصول نحو هدف يرمي الى تفسير كلي بتتبع واقتفاء اثر نتائجها العملية لربط معارفنا بعالم التجربة حيث النتائج. إلا إن اهم ما يميز الفكر البراجماتي هو "ابتعاده عن التجربة النظرية والأخذ بالعلل الصحيحة والمبادئ الثابتة، فالفيلسوف يسعى الى دراسة كل ما هو حقيقي مقنع[٢]. وبهذا يكون هدف البراجماتية حسم وحل القضايا التي لم ينفع فيها الجدل النظري. فهي اتجاه يحول النظر من الأوليات والمبادئ والأسس الى الغايات والنتائج لتساعد على تحقيق الأفكار بأسلوب ناجح في الحياة والواقع الخارجي وهي بذلك تؤكد على العمل والمنفعة، وتبحث عن علاقة الانسان الذي هو محور عملها الأساسي بالبيئة [٣].

المبحث الأول: البذور الفكرية للبرجماتية

تمثل البرجماتية افكاراً مألوفة تماماً في المذاهب الفلسفية التي سبقتها ابتداءاً من الفلسفة اليونانية وفلسفة العصور الوسطى مروراً بالفلسفة الحديثة ، مستمدة من اراءهم بعض الشذرات التي اضاءت طريقها للخروج بأتجاه فلسفي

---

[1] جميل صلبيا ، المعجم الفلسفي ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ج١ ، ص ١٦ .

[2] عزمي اسلام ، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٦.

[3] يوسف اكرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار القلم ، بيروت ، بلا ، ص ٤١٩ .

معاصر[١]. فمن اولى المذاهب الفلسفية التي نجد تأثيرها في الفكر البرجماتي هي السفسطائية ، التي وجهت الانظار نحو دراسة الانسان ، " فالخدمة الدائمة التي قدمها السفسطائيون للفلسفة هي انهم وجهوا الانظار نحو دراسة الانسان ووضع الأسس للتربية النظامية [٢] ، كذلك فالانسان موضوع البرجماتية والبحث عن فائدة الانسان غاياتها محاولة إرضائه وسد حاجاته .

السفسطائية تترك للانسان ما يختاره وكل ما يحقق السعادة في نفسه ويحقق له حياة راضية يعيش بها تاركة الحكم على قضاياه وصدق افكاره للمستقبل يؤكد هذا قولها "الانسان مقياس الأشياء جميعاً هو مقياس وجود ما يوجد منها ، ومقياس لا وجود ما لا يوجد"[٣]. يبدو هنا الجانب النفعي لدى السفسطائية ، وبشكل واضح من خلال السلوك وليس من خلال المحاورات التي يعلنونها في تفضيلهم الجانب المادي للتحصيل المعرفي الذي يسعى اليه طلابهم . يؤدي اليه او لم يكن قريباً نحوه لا فائدة فيه للفيلسوف.

ومن الفلسفات الحديثة نلاحظ بعض الآراء من المدرسة التجريبية التي تستخدم مناهج تقوم على التجربة العملية بدلاً من ان تقوم على المبادئ النظرية المتعارف عليها. فالتجربة هي مصدر معارفها وقد اعتبر " وليم جيمس " البرجماتية اسم جديد بطريقة قديمة.[٤] فالمادة تعرف كأحساسات باللون والشكل والصلابة وما الى هذا . في حين تظهر للنفعية لمسة اخرى على الفلسفة البرجماتية ، فالمنفعة هي التي ستجلب السعادة للناس " وهي القدرة الكافية في غرض معين على انتاج ربح او نفع او امتياز او لذة او خير او سعادة [٥]. فإذا كان ما نؤديه صالحاً ، فستكون الفكرة نفسها صالحة ونحن بامتلاك الأفكار الصالحة النافعة افضل مما

---

[1] لمزيد من التفاصيل يرجى الاطلاع على: ديورانت، ول. قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي. تر. فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٧٥، ص٦٢٣ .

[٢] الوردي ، علي . مهزلة العقل البشري ، دار التعارف ، بلا ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠١ .

[٣] يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف ، مصر ، ط١ ، ١٩٦٣ ، ص ٥٩ .

[4] جيمس ، وليم . البرجماتية ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

[5] معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الانماء القومي ، بلا ، ط١ ، ج٧ ، ١٩٨٨، ص ١٣٥١.

بدونها[١]، فالغاية التي تسعى لها كل من الفلسفتين هي النفع الذي يجلب السعادة للانسان.

ونحن ننتقل من مذهب فلسفي الى اخر لا يفوتنا ذكر بصمة(عمانوئيل كانت) باعتباره من اهم الشخصيات الفلسفية التي اثرت على البرجماتية وتحديداً فكر(بيرس)، حيث قال ان البرجماتية تعددت وتشكلت معمارياً عند(كانت)، وهي خالصة إذ تتناسب مع ما يلائم الانسان الامريكي[٢].

يظهر جلياً ان البرجماتية " مسلحة تسليحاً كاملاً ... لا تناصر او تمثل أي نتائج معينة بذاتها . وليس لها اية عقائد يقينية او حزمية او اية مذاهب او مبادئ ، اللهم سوى طريقتها ومناهجها"[٣]، فهي تحول جمود كل النظريات الى مرونة وتمرس كل واحدة منها على العمل. وبذلك فهي تتفق وتتآلف وتقترب مع كثير من الاتجاهات الفلسفية. فقيمة أي فكرة تكمن في فائدتها العملية اولاً . ويعتبر هذا نتيجة منطقية لأنعدام الحس التاريخي لدى الشعب الامريكي[٤]، الذي يحاول ان يكون صانع مستقبل ليعوض فقدانه الجذر التاريخي وليحقق ما يهدف اليه ببناء قاعدة معرفية ينطلق منها الفرد الامريكي لا يسال عن الماضي بقدر ما يسال عن المستقبل .

المبحث الثاني: اعلام الفكر الفلسفي البرجماتي واتجاهاتهم

ظهرت الفلسفة البرجماتية على يد الفيلسوف الامريكي تشارلس ساندرس بيرس، الا انها لم تلق الشهرة والرواج اللذان لقيتهما الفكرة ذاتها عند (وليم جيمس وجون ديوي)، خاصة في الدراسة والبحث والترجمة لكونهما مشهورين اعلامياً ، وتركا كتباً متكاملة وبكمية وحجم اكبر من نصيب (تشارلس بيرس) الذي ترك اوراقا معظمها غير منشور، لذا ظل اسمه مخفياً لكن فكره وجهده بقى الأساس في اقامة المنهج البرجماتي.

---

[١] جيمس ، وليم . البرجماتية ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .

[2] شنيدر ، هربرت . تاريخ الفلسفة الامريكية ، تر . محمد فتحي الشنيطي ، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، ١٩٦٤ ، ص ٣٣٥ .

[3] جيمس ، وليم . البرجماتية ، المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

[4] جيمس ، وليم . المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

اعتبر(بيرس) جوهر الفكر الامريكي ، فهو من اوائل الفلاسفة اللذين بحثوا في فلسفة العلم ، واوائل الباحثين بما يعرف اليوم بعلم السيمياء . فضلاً عن اشتغاله في مجالات الفلسفة والعلوم كالمنطق ونقد تاريخ الفلسفة والفلك و الرياضيات[١] .

ان ما يميز برجماتية (بيرس) هو حبه البحث في الفلسفة التأملية ، فهو يسعى الى معنى الفكرة . فالغاية لا تبرر الوسيلة " ويجب تحرير العلم من افساده بالفردية ... وذلك باحياء الواقعية من خلال المنطق"[٢].

توصل(بيرس) الى مصطلح البرجماتية ، من كلمة يونانية قديمة حتى يصبح من الصعب تداوله الا للغرض الذي يعنيه هو ، " وبعد ذلك ونتيجة لتوسع البرجماتينيين الآخرين وخاصة (جيمس) في استخدام هذا المصطلح اشتق (بيرس) مصطلح البرجماتيكية* Pragmaticism التي فيها من القبح ما يحميها من الخاطفين " ومنح هذا الاسم لمنهج فكره القائم على اعتبار الآثار التي يمكن تصورها ذات حمولة تطبيقية عملية بشرط ان تؤدي الى افكار عامة تكون هي المفسرة الحقيقية لفكرنا [٣] .

اقترب (بيرس) في فلسفته من اعتماد الوقائع التجريبية في آراءه ورفض الاتجاه المثالي، فمعظم الافكار إذا لم تكن كلها ترتبط بانطباعات حسية ناتجة عن تأثير الاشياء في الواقع الخارجي[٤]. ووضع مصطلح البراجماتية في مقاله " كيف نوضح افكارنا "بيّن فيه الأساس الفلسفي لها . فهي طريقة في الفلسفة Method ، وهي وسيلة لمعالجة القضايا الفلسفية التي تبحث في المعلومات والحقائق ما وراء الظواهر فالكلمات والعبارات التي تتألف منها الفكرة خطط للعمل Plan of action ، وكل فكرة لا تنتهي الى سلوك عملي في الواقع هي باطلة وغير ذات معنى .

وفي العصر الحديث يعتبر (وليم جيمس) حامل لواء البرجماتية ، الا انه اطلق عليها اسم " التجريبية المتطرفة " فليس المهم عنده العقل بل هو النفع المادي .

---

[١] علي عبد الهادي عبد الله . المصدر السابق ، ص ١٥ .

[٢] شنيدر ، هربرت . المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

[٣] الماكري ، محمد . الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط١، ١٩٩١ ص٤٠ .

[٤] للمزيد من التفاصيل راجع الشمري ، عبد الامير . المعنى والاعتماد في فلسفة تشارلس بيرس في مجلة دراسات فلسفية ، ع٢ ، مطبعة اليرموك ، بغداد ، حزيران ،١٩٩٩ ، ص ٧٢ .

تركز الفرق بين البراجماتية والسفسطائية في نقطة مهمة، فالبراجماتية تتجه اتجاه واضح نحو البحث للوصول الى المعرفة الواضحة فالافكار ليس لها معنى إذا لم تكن واضحة، في حين موضوعات السفسطائية تدور حول مشاكل واضحة الحلول " فلقد كانت السفسطائية تتاجر حتى اجل الكسب المادي " [١] ، حيث ان القائلين بها اتخذوا اسلوب التكلم والحذلقة لتوصيل ما يريدوه لأقناع الآخرين وهذا اسلوب اعتمد الخداع، إلا إنه مادامت السفسطائية اولى الفلسفات التي جعلت الانسان موضوعها يمكن إذن عدها اولى المدارس الفلسفية التي ساعدت البرجماتية في تكوين جزء من ارائها الفلسفية ذات الابعاد الانسانية .

كما لا يمكن تجاهل او اخفاء تأثير فكر (سقراط) الذي يتسم بالأخص بالبرجماتية ، فالانسان (عند سقراط) يعمل الشيء لو وجده نافعاً ويبتعد عنه إذا كان مضراً. فقد قبل " إن (سقراط) كان بارعاً حاذقاً في البرجماتية [٢]. ويظهر تأثير الرواقية ايضاً في البراجماتية حيث ان غاية الانسان هي العمل وفق قوانين الطبيعة، لذا اهتمت بشكل واضح "بتحصيل النتائج المترتبة على الفعل " [٣] وهذه الافكار تظهر بوضوح في تناول (وليم جيمس) – فيما بعد – للجانب العملي الذاتي . ولا يختفي دور الفلسفة الابيقورية التي نُسبت الى (ابيقور) وسميت بأسمه والتي تعتبر آخر المدارس الفلسفية القديمة التي انعكس ضياؤها على البرجماتية ، فهي ترى " إن ما قد خلا من العمل فعل العقل وما يؤدي اليه بوصفه اداة في خدمة اغراض الانسان وفق ما تمليه مصالحنا وغاياتنا . فليس هناك قيمة لفكر من الأفكار إذا لم يتم تطبيقها مباشرة على الوقائع.

وبذلك تكون افكار (جيمس) امتداد منظم لما جاء به (بيرس) ، وذلك باعترافه حين قال "لا يوجد مفكراً اكثر ابتكاراً وابتداعاً من جيلنا برمته ، لقد اوحيت لي شخصياً بأمور

---

[١] يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .

[٢] جيمس ، وليم ، البراجماتية ، تر . محمد علي العريان ، دار النهضة ، القاهرة ،ص٥٤

[٣] عبد الرحمن بدوي . خريف الفكر اليوناني ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٢،ص٤٤

في غاية الاهمية اكثر من أي شخص آخر قدر لي ان اعرفه " [١] يؤكد ذلك شروحات (جيمس) للبرجماتية. والتي أدت الى اعتراف(بيرس) بها حين قال " انك الوحيد الذي يوضح البرجماتية في اكثر اشكالها طلباً ، انك جوهرة البرجماتية " [٢] وبهذا الاثبات لمنهج (جيمس) البرجماتي يكون الفرق بين (بيرس) و(جيمس) في ان الأول يبحث عن معنى الفكرة والغاية لا تبرر الوسيلة ، في حين ان قراءات لمنهج (جيمس) تبين انه يهتم بالغاية بغض النظر عن الوسيلة . فالمهم في كل فكرة هو فائدتها .

ان اتجاه (جيمس) البرجماتي لا يهتم الا " بتوضيح المذاهب الفلسفية و تبسيطها لتعود بها الى مضامينها الواقعية ، ولكنها لا تقف منها موقف الحكم ، فالحكم النهائي يظل دائماً امراً شخصياً . لذا فقد يصل اصحاب المذهب البرجماتي الى نتائج مختلفة فيما بينها غاية الاختلاف"[٣]. فمهمة الفلسفة لديه تسعى نحو ايجاد الآثار المميزة التي نتعرض لها في لحظة محددة .

في حين يظهر ان (جون ديوي) يقترب من آراء وافكار (بيرس) في البحث وخضوع صوره للتبدل والتغير في سير البحث نحو التواصل ، في كافة الميادين والمجالات ، حيث اشار في مجمل كتاباته حول اراء ومواقف (بيرس) بقوله " سيلحظ القراء الملمون بكتابات (بيرس) في المنطق ، أي مدين له اعظم الدين في وجهة نظري العامة[٤]"، وبهذا أقر ديوي برأي (بيرس) في ان جميع القضايا معرضة للشك دائماً على اساس يحتمل ان تظهر نتائج جديدة .

---

[١] بيري ، رالف بارتون . آراء وشخصية وليم جيمس ، تر. محمد علي العريان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩١ .

[٢] بيري ، رالف بارتو ، المصدر السابق ، ص ٣٩٦ .

[٣] الشنيطي ، محمد فتحي . في الفلسفة الحديثة والمعاصر ، مكتبة القاهرة الحديثة ، بلا ، ط١، ١٩٦٨ ، ص٩٢.

[٤] ديوي، جون، المنطق نظرية البحث ، تر . زكي نجيب محمود ، دار المعارف ، مصر، ١٩١٠، ص٣٥

يمكن وصف برجماتية (ديوي) ، بالعمق والمرونة والشمول وانطباعها بسمة انسانية تتناقض مع التعصب والنفعية . فضلاً عن اقتراب فلسفته من البحث والتجريب والتطبيق وتسخير المعرفة والعلم كأداة للتطوير والتغيير لخدمة الفرد ، وهذا يدل الى ان ديوي يتميز بفلسفة نقدية تقف على مواضع الخطأ والقصور وفلسفة اخلاقية موجهة لخدمة الانسان لمواجهة الواقع الاجتماعي، وفلسفة تفاؤلية تثق بقدرة الانسان والعلم والمعرفة على تغيير مياه الانسان بجعلها اكثر كمالاً وجمالاً [١].

يؤكد اتجاه (ديوي) على ان ما نحصل عليه من معرفة تكون على الاغلب اداة لاتخاذ ما يلزم في مواقف لاحقة . وبما يضمن تحقيق التكيف الأفضل مع ظروف الطبيعة ، فالمعرفة تسير نحو تحقيق خبرات صالحة لتوجيه وقيادة وتوضيح المعاني امامها [٢]. فبراجماتيته اداتية Instramental ، فكل اشكال المعرفة الانسانية والفكر ما هي الا ادوات لحل الاشكالات المختلفة التي تواجه الانسان فهو وسيلة لخدمة الحياة.

الفصل الثاني: موقع الفلسفة البرجماتية في المعرفة البشرية

نحن نعيش في عالم وقائع ، وهذه الوقائع قد تكون نافعة وقد تكون ضارة . تعد الأفكار التي تتنبأ بما نتوقعه من واقع معين افكاراً حقيقية . لذا فأمتلاك الحقيقة ليس غاية في ذاته ، انما هو وسيلة لسد احتياجاتنا المتجددة .

من هذا المنطلق سيترتب على البشر ان يواصل السعي وراء الافكار الحقيقية التي نحتفظ بها عندما نتوصل الى ادراك قيمتها وفاعليتها في الحياة العملية فالفكرة

---

[١] للتفاصيل يرجى مراجعة: ديوي ، جون . المنطق نظرية البحث ، المصدر السابق ، ص ١-٢، وبولر. بول .ف. الحرية والفرد في الفكر الامريكي من ادواردز الى جون ديوي ، تر. اسماعيل كشميري ، مكتبة الانجلو المصرية ، بلا ، د.ت ، ص ٢٨٠ .

[٢] ديوي ، جون ، الديمقراطية والتربية ، تر . منى عقراوي وزكريا ميخائيل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٣٢٥ .

نافعة لانها حقيقية ، او انها حقيقية لانها نافعة [١]، لذا تعد القضيتان تؤديان الى التأكد من قيمة الافكار وصدقها وصحتها .

لقد توصل (بيرس) الى ان الحقيقة مثل كل صفة اخرى " تتألف من المعلولات الحسية الجزئية التي تولدها الأشياء التي تشارك فيها . والأثر الوحيد للأشياء الحقيقية هو انها تسبب الاعتقاد ، وان جميع الاحساسات التي تثيرها تبرز في الشعور في شكل اعتقادات"[٢]. في حين ان (وليم جيمس) ذكر " ان كل الحقائق تؤثر في مزاولتنا ، وهذا التأثير هو معناها بالنسبة لنا"[٣] وقد صنف الحقيقة الى نوعين اما ان تكون شيئاً خارجياً او تنتهج الأسلوب العلمي لسد وارضاء الحاجة النفسية " ، فالفكرة الحقة عن موضوع ما، هي التي تحدونا الى اتيان افعال تقودنا الى ذلك الموضوع ، او ان تكون القضية الحقة هي التي يتتبع تسليمها نتائج مرضية أي محققة لمطالبنا ففي الحالتين ليست الحقيقة تصوراً مطابقاً لشيء كما يعتقد عامة الناس ، ولكنها التصور الذي يؤدي بنا الى الاحساس بشيء او الى تحقيق غرض"[٤]. فصدق الافكار ينبني على اساس مطابقتها للواقع ، كما ان كذبها وبطلانها يتمثل في عدم موافقتها للواقع . معنى ذلك ان الاحداث هي التي تجعل الفكرة صادقة ، فأفكار أي انسان لن تتعدى كونها وسائل فعالة لمواجهة ضرورات الحياة ومطالبها ، وينبني على ذلك ان حقيقة فكرة ما او نظرية ما تنتمي الى رغباتنا وتقاس قيمتها بمبلغ ما تحققه من نفع ، وفي تحقيق التوازن والانسجام في شخصياتنا[٥].

اما (ديوي) فهو كعادته يرى ان الحقيقة والصدق صفة يتسم بها العمل وهي معرضة دوماً للتعديل والتغير في مجمل ميادين الحياة ، فما يثبت صحته بالعمل فهو حقيقي. فالطريق الوحيد المؤدي للحقيقة حسب رأي (جون ديوي) هو طريق البحث باستخدام كافة ادوات البحث والتسجيل للضبط والدقة فالحقيقة لديه هو ما يثبت بواسطة

---

[١] الشنيطي، محمد فتحي . في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ .

[٢] شنيدر، هربرت . تاريخ الفلسفة الامريكية ، مصدر سابق ، ص ٣٤١ .

[٣] جيمس، وليم . البرجماتية ، مصدر سابق ، ص ٦٧ .

[٤] يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة ، مصدر سابق ، ص ٤١٨ .

[٥] الشنيطي، محمد فتحي . في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مصدر سابق ، ص ٩٩ .

العمل قدرته على التحقق والانجاز بهدف احداث التغير المطلوب في أي موقف [١] .فكل ما يقدم البراهين العملية التطبيقية على صدقه ، بالقدرة على الفعل وتحقيق النتائج المنشودة هو صادق [٢] .

ان لكل فرد طاقات وامكانيات تهيؤها الظروف المناسبة ، التي يفترض استخدامها وعدم التفريط فيها وتبديدها ، إذ لابد لكل انسان ان يعرف كيف ينقل الوقائع بافكاره بعد تخليص وتنقية الافكار من كل عنصر شخصي ، ويتحرر من الظرف ويخلص في توجهه نحو اشباع حاجاته ورغباته وضرورات الحياة ، فالفرد عندما يؤدي نشاط ما تنتج عنه استجابات مختلفة من الآخرين في البيئة المحيطة به ، اما بتشجيعه او الاحتجاج عليه ومعارضته ، وحتى إذا ما تركوه فهذه ايضاً احد انواع الاستجابة [٣].

ويظهر جلياً دور الانسان في اداء رسالة وخبر الى البيئة ، يحيا ضمنها اثناء مساهمته في تطويرها مادياً وعقلياً ، فدور الانسان يثبت وجوده ويقوي ويعزز كيانه في خضم عالم متشعب تتشابك معه القوى ، ينبغي على الفرد ان يؤسس وجود لافكاره في وسطها فالانسان يعيش بالامل ، بهدف الحصول على النجاح [٤].

يسعى الفكر الانساني للامام ويتطلع الى الرقي والتقدم بكل ما هو جديد فهو في حركة مستمرة يبدأ بالتساؤل ليصل الى الفهم ، وفي مجال الفن يلتزم دوماً بنقطة بداية مما سبق عرضه ليصل الى الفهم ، فرغبات الانسان تتبلور تحت تأثير البيئة البشرية والآخرين اللذين يعيش معهم ولولا هذا المحيط والتقاليد والنظم الاجتماعية لأصبح خالي من أي شيء[٥]. فالانسان لا يشعر بالحياة إذا لم يتجرع التناقضات والاختلافات حلوها ومرها ،

---

[١] وين ، رالف . قاموس جون ديوي للتربية ، تر. محمد علي العريان ، مطبعة مصر ، ١٩٦٤، ص٩٠-٩١ .

[٢] ديوي، جون. التجديد في الفلسفة، تر. امين مرسي قنديل، مكتبة الانجلو المصرية، بلا، ص ٢٦٠.

[٣] ديوي ، جون . الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ، تر . محمد لبيب النجيحي ، مؤسسة الخانجي، القاهرة – نيويورك ، ١٩٦٣ ، ص ٤١ .

[٤] الشنيطي ، محمد فتحي . في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

[٥] ديوي ، جون . الفن خبرة ، مصدر سابق ، ص ٤٥٦ .

فهو لن يعرف معنى النصر ما لم ينسحق بالفشل [٦] ، من هذا المنطلق تتكون الشخصية الفاعلية للانسان والاحساس بالقيمة الفعلية للموجودات .

قد يكون مصدر اللذة هذا الاحتكاك الذي يتولد بين الفرد ومحيطه فالسعادة والبهجة لا يتحققان الا بفعل عملية اشباع تلمس وجودنا ليشعر الفرد بالاكتفاء والكمال ويبدأ من جديد، فالاخلاق نتيجة لتصرف الفرد منذ القدم ونتيجة لما عرف انه صالح ونافع وانه معين للحياة في قضاء متطلباتها [١]. تتعرض الرغبات والعواطف الى تغيرات وتقلبات ، إذ لا يمكن ان تستمر في عنفوانها ، حيث تستثار لتتأجج وتخمد عندما تنطفأ ، فلا بد من تغيير الطموح في مجمل عملية سيره الالية وفقاً للتغير والتطور الذي يطرأ في البيئة الخارجية ، وبذلك يتغير العمل " فحسب تطويره وتغيره ان يجلبان معهما اعادة تقييم الحياة ويصممان على تحقيق ذلك. فتهذيب العقل في احسن حالاته لا يشكل الا وسائل افضل لتحقيق اهداف قديمة قد اعتدناها ... فالعقل غير منتج بينما الرغبة مولدة " [٢] فالافكار لا تؤدي الى عمل ما لم يرافقها رغبة في الوصول نحو اشباع شيء ما ، وحاجة ما ، والرغبة تتسم بايجابيتها او سلبيتها على اساس الهدف الذي يكمن وراءها ، فالعواطف تظهر وتتجمع حول الهدف ارضاءاً لحاجة او سداً لنقص او توفيراً لمفقود ، وبذلك تكون الرغبة دافعاً للكائنات الى الامام ، وعندما لا ترتبط الانشطة والفعاليات برغبة سوف لن تخرج عن كونها مجرد نشاط روتيني الوصول الى الرغبة هو نتيجته .

ان الانسان لا يرغب في الهدف لذاته ولكن لأجل ما يستطيع الحصول عليه وهو "اللذة التي هي الهدف الحقيقي للرغبة ... إذ انها جميعاً وسائل لشيء شخصي مادي. وبذلك يقال انها وسيلة للذة..فالشيء المرغوب فيه ليس هو الغاية او هدف الرغبة، ولكنه الشيء الذي لابد منه لهذا الهدف"[٣]. ومثال على ما تقدم يعتبر الفرد الذي يدرك موضوع جمالي عندما يرى باقة ورد او الوان متناسقة متناغمة سيشعر انه متحرر من كل رغبة، فرغباته تلقى اشباعها عندما يمر بالموضوع السابق، وهو هنا لا يشعر بالحاجة لشيء

---

[٦] الشنيطي ، محمد فتحي . في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

[١] يعقوب فام . البرجماتزم او مذهب الذرائع ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

[٢] ديوي ، جون . الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ، مصدر سابق ، ص ٢٦٥ .

[٣] ديوي ، جون . الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ، مصدر سابق ، ص ٢٦٧ .

آخر سوى هذا التأمل الذي بواسطته يمكن اشباع الكثير من الميول،فاللذة لا توجد في فعل التأمل نفسه بل في اشباع الميول عن طريق الموضوع المدرك[٤].

الفصل الثالث: الفلسفة الجمالية البرجماتية

ان في تطرقنا للفلسفة الجمالية من وجهة النظر البرجماتية، لابد لنا من المرور بعدة منظمات جمالية تتمحور ضمنها هيكلية هذه الفلسفة، مبتدئين من الأحساس بالجمال ووعي الجميل مروراً بالمؤسسة الفنية وقائدها الفنان وصولاً لصناعة الجمال والعملية الابداعية. فلو اردنا ان نفهم الظاهرة الجمالية في شكلها الأمثل الذي يلقى بالقبول من قبل المتذوق، فلابد من دراستها في مادتها الخام كالاحداث والمناظر التي تستوقف بصر الانسان او سمعه للفت انتباهه ومولدة لديه نوعاً من المتعة حين ينظر[١].

فالخبرة الجمالية تعتبر ارتقاءاً طبيعياً للدوافع البشرية العامة التي نتخذها مثيراً لاستجابتنا الطبيعية للبيئة التي نعيش ضمنها.ومن هذا المنطلق يمكن القول ان الخبرة الجمالية احد مظاهر توازن طاقات الانسان مع مايحيط به من ظروف لتحقق توازنه[٢]. فالفن الجميل من صنع الانسان وهو تجديد لوجود سابق، الغاية منه التمتع بها. وفي هذا دليل على " ان الأشياء الحقيقية من صنع الانسان ، تهدف الى تحقيق ترتيب جديد وفق خصائص معينة وعلاقات خاصة [٣].

يرى (جون ديوي) انه ليس من السهل الفصل بين الجميل والنافع ، فالفنون الجميلة هي بلا شك فنون نفعية ، تمتلك قيمة اداتية عملية لا تقل عن قيمة بعض الصناعات ، كونها ذات صيغة جمالية تكون جمالية عندما تكون اشكالها او صورها متلائمة مع استعمالاتها الخاصة[٤]، فالشيء المناسب في المكان المناسب . ولأن الفن يرتبط بتجربة فهو ذو طبيعة نفعية وظيفية احد شروطها ان يكون ذو صفة جمالية. يمكن ان " تنطبق

---

[٤] ديوي ، جون . الفن خبرة ، المصدر السابق ، ص ٤٣٠ .

[١] ديوي ، جون ، الفن خبر ، مصدر سابق ، ص ١٢ .

[٢] زكريا ابراهيم. مشكلة الفن، دار الطباعة الحديثة ومكتبة مصر، القاهرة ، بلا ، ص ٢٠٧-٢٠٨.

[٣] ديوي ، جون . البحث عن اليقين ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

[٤] زكريا ابراهيم . مشكلة الفن ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

هذه التجربة الجمالية في شتى خبراتنا العملية فليس هناك حد فاصل يعزل الخبرة الجمالية عن الحياة العملية ، فهي كامنة في بواطن خبراتنا اليومية ، إذ تخرج من نطاق الاحاسيس الشخصية الفردية وتتحدد نحو عالم الأشياء والموضوعات والأحداث الخارجية " [٥]. وفي هذا دليل على ارتباط الفنون الجميلة وعلاقاتها مع الحياة اليومية ، فهي إذا لم تعن انها صورة طبق الأصل من الموضوعات ، فلن تبتعد عن انها تعكس الانفعالات والأفكار المرتبطة بشتى الأنظمة الرئيسية للحياة الاجتماعية .

يعتبر الفن اداة مهمتها تحسين ظروف الحياة الانسانية ، فالفن رسالة للعمل على اضفاء صور اكثر دلالة للتجربة الانسانية فهو يحمي الانسان من التشتت والتمزق ويمكنه من فهم الواقع ويساعده على ان يكون الواقع اكثر انسانية [١]. فالفنان قبل ان يبدأ في الشروع بالعمل يقف ليدرك ويتأمل ، وعندما يقوم بابداعه سيقوم باعادة تشكيل وصياغة المفردات الموجودة والمعطاة من حوله وبذلك فأن الفنان عندما يتأكد من وصوله الى نتائجه الحسنة سيكون قد وصل الى مرحلة الابداع[٢]، وهذا لا يحدث الا اذا ادرك مباشرة ما يعمله وهو اساساً لابد ان يملك الموهبة وقوة الملاحظة . وهو – أي الفنان – في أي مرحلة من مراحل انتاجه لأي عمل سواء كان نحتاً او رسماً او تخطيطاً او حفراً ، في أي لحظة من لحظات انجازه سيكون على وشك الاتمام والانتهاء فهو " يستجمع لديه نحو ما يريد ان يصل اليه "[٣].

الفرق بين الفنان والفرد العادي ان الأول منهما اكثر انفعالاً او اكثر قابلية وكفاءة في الوصف والتعبير عن الانفعال ، فهو يختار وينتقي ما يريد التعبير عنه ليصل الى الغاية التي يخرج بها عمله بعرض المواد الخارجية بلغة علاقات بين الخطوط والسطوح والالوان . فالحقائق الخارجية هي التي تكيف العقل وتعيش في تفاعل مستمر بينهما فالفنان يتناول قطعه الحجر ويصنع منها تمثالاً منظماً متناسباً [٤]. وبذا تكون المادة اسبق وجوداً عن الفكرة التي يمكن تجسدها خطاً شكلاً لوناً نحتاً لحناً .

---

[٥] زكريا ابراهيم . المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

[١] ديوي ، جون . الفن خبرة ، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

[٢] زكريا ابراهيم . فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دار مصر للطباعة ، مصر ، ١٩٦٦، ص ١١٧.

[٣] زكريا ابراهيم ، فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

[٤] يعقوب فام ، البراجماتزم او مذهب الذرائع ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

ان مواد الطبيعة تخضع لترجمتنا لها وفق اشكال متلائمة مع اخلاقنا وبيئتنا، وتخضع اكثر للأشكال الجمالية التي تكون مستسلمة نحو الترجمة الى اشكال علمية[٥]. والفنان يقرر قيامه بابداع شيء ما وفق للأفكار والشواهد التي تختزنها ذهنيته. ويقوم بعدة تخطيطات للعمل يرشح من بينها ما عليه سيكون اختياره ليصل الى قرار، والتي يليها عملاً ،لابد من تنفيذه وادائه ، اما ما هو العمل الذي يبغي ان يؤديه الفنان فهذا يتوقف على تصميمه الذي ينوي تشكيله ، فالهدف من صناعة الجمال الحد والتخفيف من الحواجز التي توضع بين الفرد واخيه الانسان كونها الوسائل الوحيدة التي تملك القدرة على تعزيز روح التعاون والاواصر الاجتماعية الانسانية بين الأفراد[١]. يساهم العقل في انتاج الاعمال الفنية لانه يقوم على استخدام مناسب من التفكير ونوع خاص من المواد إلا وهي العلاقات الخطية والالوان. وتبتعد الجمالية عند (ديوي) عن مجرد دائرة الاحاسيس الشخصية والانفعالات الفردية ، بل تمتد الى اكثر من ذلك نحو الأشياء والموضوعات الى تحقيق نوع من التوازن بين الانسان والظروف المحيطة به[٢]. فالاحساس بالجمال يخفف من مدى التوتر الناجم من عدم التكيف مع البيئة ، ويرفع الفرد الى الشعور بالرضا واللذة والاستمتاع والاكتفاء . يؤكد ذلك (جون ديوي) حيث ذكر ان " الادراك الحسي الذي يتسامى الى حد اللذة ليس اكثر من حالة لذة طبيعية، فتذوق من خلالها موضوعات الحياة وهي ناتجة عن مهارة وذكاء في تعاملنا مع الأشياء الطبيعية ونتمكن خلالها من زيادة ضروب الاشباع التي تحققها لنا تلك الأشياء تلقائياً فنجعلها اكثر شدة وصلابة وطولاً " [٣].

وبذلك ترتبط نتائج الابداع (العمل) باختيار الوسائل وترتيبها للوصول الى الهدف الذي يخدم مصالحنا. فالانسان الفنان يبدع بسبب قدرته على تحديد الفروض الممكنة في موقف من المواقف الذي يبلور كل فاعلياته وسلوكه وتحت كل المواقف سيكون لابد من وجود السيء والجيد من بين الفروق ولأن كل فكرة موجهة لاداء فعل ما ، وكل موقف يتطلب اتخاذ قرار ، فلا بد من وجود فقرة تطبيقية ليؤدي النشاط وفق شيء

---

[٥] شنيدر ، هربرت ، مصدر سابق ، ص ٢٦٢ .

[١] وين ، رالف ، قاموس جون ديوي للتربية ، مصدر سابق ، ص ١٦٤ .

[٢] راوية عبد المنعم . القيم الجمالية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧، ص ٢٤٢ .

[٣] راوية عبد المنعم . المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ما او لصنع وابداع شيء ما. " بحيث يعيد تشكيل المادة السابقة لقيام الفكرة والتي اعتبرت اساس العمل الذي هدف الى تطبيقها فالعمل القصدي الذي نؤديه ما هو الا اعادة بناء للظواهر بايجاد واحداث تغيرات في البناء الاصلي"[٤].

مما تقدم يتضح جلياً هنا ان رؤية الفلسفة البرجماتية للفكر الجمالي تعد بالقيام بالتجارب والاختبارات من اجل المعرفة حول ما إذا كان الموضوع الجمالي يعمل كما هو مرجو ومتوقع له ، فالفنان يسعى نحو ادخال تغيرات عليه يأخذ الوضع المناسب والشكل الملائم حتى يصل الى المطلوب.

ويؤكد (ديوي) على اهمية الطابع الابداعي للعمل او المشروع الذي يتم الشروع به باعادة تنظيم مفرداته وعناصره ليكون بالوجه الاكمل المنظم ، " فالمعرفة هي التي تحقق افضل النتائج للاعمال المبتكرة . وهنا تكون المعرفة اداة لتوجيه العمل وتحديد وبناء الخبرة"[١]. فالشيء الاساسي المهم من كل ما تقدم ان نعلم ما نستطيع تعلمه حتى نتمكن من السيطرة على افعالنا وتوجيهها نحو اغراض محددة لتصبح المعرفة معرفة علمية لا تبقى مجرد تأمل .

الفصل الرابع: النتائج

بعد ان اطلعنا على الأسس التاريخية للفلسفة البرجماتية آخذين بنظر الاعتبار البذور الفكرية البرجماتية وتطورها وكيفية حصولها ، واهم اعلام هذا الفكر الفلسفي واتجاهاتهم والتوصيف لكل اتجاه . فضلاً عن مؤسسات الفكر الجمالي البرجماتي شارحين نظرية المعرفة، والهيكلية الفكرية التي تستند عليها كالحقيقة والانسان واللذة او الاشباع والاكتفاء من تحقيق الفعل . والتي قادتنا نحو موقع الفلسفة البرجماتية في المعرفة البشرية التي انعكست ملامحها على الفكر الجمالي والوعي بالجميل وصناعة الجمال والعملية الابداعية ، لذلك تتبلور نتائج بحثنا المتواضع حول ما يلي :-

اولاً : تتسم البرجماتية بتوجهها العملي ، الذي يؤديه الانسان فهي فلسفة عدل وخبرة تهدف دوماً الى المزاولة والتطبيق.

---

[٤] ديوي ، جون . المنطق نظرية البحث ، مصدر سابق ، ص ٢٨٢ .

[١] Devine , Elizabth . Thinker of the 20 th century , firethorn Paris , 1985 , p. 137 .

نقلاً عن الشمري ، عبد الامير . مصدر سابق .

ثانياً : ظهرت البرجماتية كمصطلح في امريكا في القرن التاسع عشر عام ١٨٧٨، عند تشارلس ساندرس بيرس وتطورت فيما بعد عند كل من وليم جيمس وجون ديوي تحت لفظ الادائية .

ثالثاً : تتمحور الفلسفة البرجماتية حول تفسير كل فكرة والبحث في مصداقية نتائجها التطبيقية لربط المعرفة بالتجربة. فأهم ما يركز عليه الفكر في البرجماتية هو الابتعاد عن التأمل والمناهج التقليدية في التفكير إذ إن غايتها تحقيق الافكار بأسلوب ناجح يخدم الحياة والواقع الخارجي وبهذا فهي تصر على المنفعة ، وتبحث عن فائدة الانسان فالبراجماتية فلسفة انسانية .

رابعا: تتداخل وترتبط وتتشابك الفلسفة البرجماتية مع الحقول والميادين العلمية المتجاورة كالعلوم الطبيعية واللغة والأدب فضلاً عن الفن كونها اتصالية نفعية تطبيقية عملية .

خامساً: تمثل البرجماتية افكاراً مألوفة ومعروفة في الاتجاهات الفلسفية التي سبقتها ابتداءاً من الفلسفة اليونانية ووصولاً للفلسفة الحديثة . حيث نجد تأثيرها عند السفسطائيين ، الذين اكدوا في دراستهم على الانسان واعتبروه مقياس كل شيء وبهذا تقترب من البرجماتية التي فائدة الانسان غاياتها. الا انها تبتعد عنها في ان الأولى – السفسطائية – تعتمد التكلف لتوصيل ما تريد ، في حين ان البرجماتية تتجه اتجاه واضح نحو البحث وصولاً لمعرفة واضحة تؤدي فعلاً .

ونجد بذور البرجماتية عند (سقراط) الذي يرى ان الانسان يعمل الشيء إن وجده نافعاً ويتركه إذا لم يجلب الفائدة وهذا يتفق مع الأفكار البرجماتية . مثلها في ذلك مثل تأثير الرواقية عليها ، فهي تهتم بتحصيل النتائج المترتبة على الفعل ، الذي تنص عليه فلسفة وليم جيمس الذي يهتم بالعمل ، كذلك الفلسفة الابيقورية وترى ان ما يخلو من العمل لا يملك فائدة ويبقى مجرد من المنفعة .

ومن الفلسفات الحديثة يظهر واضحاً علاقة التجريبية والنفعية بالبرجماتية، حيث ان التجربة هي التي تحدد المعرفة وفائدتها ، في حين ان النفعية هي التي تحقق الاكتفاء والشعور باللذة والسعادة . وهذا يتفق ويقترب من خصائص البرجماتية – كما سبق ذكره تفصيلياً في الفصل الثاني – التي طرحت افكارها في الثقافة الامريكية والتي كانت خير ما يحتضنها . فهي تحقق لها وجوداً يخدم مصالحها التخطيطية .

سادساً: اعتبر بيرس حامل لواء البرجماتية واول من نادى بها ، حين سعى الى دحض وترك التأمل وتحرير العلم من الفردية ونقله الى عالم الواقع التجريبي ، فالأفكار ما هي إلا طرق Methods ووسائل لمعالجة القضايا الفلسفية التي يجب ان تبحث بالحقائق الصرفة والتي تنتهي الى عمل فعلي . وقد اخذ وليم جيمس هذه الآراء في العصر الحديث وشرحه وفسرها واطلق عليها تسمية " التجريبية المتطرفة " فليس المهم العقل بل هو فعل العقل وما يؤديه من خدمة اغراض فالمهم الضروري هو الفائدة . وتناول جون ديوي هذا الفكر بمزيد من العمق والمرونة والشمول الذي يتناقض مع النفعية. فالبرجماتية لديه انسانية بحتة موجهة لخدمة الواقع الاجتماعي ، حيث انها تثق بقدرة الفرد ومعرفته التي تسهم بتغير الحياة بجعلها اكثر كمالاً وجمالاً وفائدة . وهذا يقترب من وجهة نظر الباحثة التي ترى ان ما يخلو من معرفة تحقق الاكتفاء وتسير قدماً نحو خدمة الحياة لا يعد مجدياً نافعاً مفيداً . فبرجماتية ديوي اداتية والأفكار والادوات ووسائل لخدمة البيئة المحيطة من حولنا ولتحقيق التكييف مع الظروف .

سابعاً: ترى البرجماتية ان المعارف الصحيحة هي التي تقود الى نتائج عملية نفعية، فالمعرفة تنتج من مؤثرات العمل والنشاط والحياة فكل خطوة من المعرفة خطوة تأسيسية لعمل ما سواء كان العمل مادياً ام عقلياً . فالمعرفة وسيلة للتعلم والاكتشاف لا يمكن ان نصف الشيء بالمعرفة إلا إذا نتج عمل ذو تغيرات ملموسة في الأشياء وبما يتفق مع الأفكار، فالمعرفة نتيجة ومحصلة فعاليات عملية يقوم بها الفرد .

ثامناً: لكل فرد طاقات وامكانيات تهيئها الظروف المناسبة . التي لابد من استخدامها وعدم التفريط بها وتبديدها ، وينبغي ان يسعى لاشباع حاجاته وتوفير الاكتفاء لرغباته وضروراته.

تاسعاً: الخبرة الجمالية تنتج من الاستجابة للطبيعة من حولنا وتجديدها بشكل جديد وتحقيق لذة والاستمتاع بالجمال الجميل النافع المفيد ، فالاشكال الجمالية يمكن ان تكون اشكالاً علمية نافعة مفيدة والأشياء النافعة المفيدة لا تخرج عن كونها فناً جميلاً .

عاشراً: الاحساس بالجمال ووعي الجميل يخفف من حدة التناقض والتوتر الموجود والناتج عن عدم التكيف ويحقق الاكتفاء والاشباع واللذة .

المصادر

١. البعلبكي ، منير . المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٢. بولر ، بول . ف . الحرية والفرد في الفكر الامريكي من ادواردز الى جون ديوي، تر. اسماعيل كشميري ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ب ، د.ت .

٣. بيري ، رالف . بارتون . افكار وشخصية وليم جيمس ، تر. محمد علي العريان، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٤. جميل صلبيا . المعجم الفلسفي ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ج١ ، بلا.

٥. جيمس ، وليم . البرجماتية ، تر. محمد علي العريان ، دار النهضة ، القاهرة، ١٩٦٥ .

٦. ديورانت ، ول . قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي ، تر. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٢ .

٧. ديوي ، جون . البحث عن اليقين ، تر. احمد فؤاد الاهواني ، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٨. ـ ، ـ. التجديد في الفلسفة ، تر. امين مرسي قنديل ، مكتبة الانجلو المصرية ، د.ب ، د. ت .

٩ـ ، ـ. الديمقراطية والتربية ، تر. منى عقراوي وزكريا ميخائيل ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

١٠. ـ ، ـ. الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ، تر. محمد لبيب النجيحي، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

١١. ـ ، ـ . الفن خبرة ، تر . زكريا ابراهيم ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣ .

١٢. ـ ، ـ . المنطق نظرية البحث ، تر. زكي نجيب محمود ، دائرة المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ .

١٣.راوية عبد المنعم . القيم الجمالية ، دار المعرفة الجمالية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧.

١٤. الرويلي ، ميجان وسعد البازعي . دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

١٥. زكريا ابراهيم . فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٦.

١٦. ـ . مشكلة الفن ، دار الحرية للطباعة الحديثة ، مصر ، ١٩٥٩ .

١٧. الشمري ، عبد الامير . المعنى والاعتقاد في فلسفة تشارلس ساندرس بيرس، مقال في مجلة دراسات فلسفية ، ع ٢ ، نيسان ، مطبعة اليرموك ، بغداد ، ١٩٩٩ .

١٨. شنيدر ، هربرت . تاريخ الفلسفة الامريكية ، تر. محمد فتحي الشنيطي ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ١٩٦٤.

١٩. عبد الرحمن بدوي . خريف الفكر اليوناني ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٦، ١٩٧٩ .

٢٠. عزمي اسلام . اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٨٠ .

٢١. علي عبد الهادي عبد الله . البرجماتية عند تشارلس ساندرس بيرس ، اطروحة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٧ .

٢٢. الماكدي ، محمد . الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١.

٢٣. معن زيادة . الموسوعة الفلسفية العربية ، ج٢ ، معهد الانماء القومي ، د.ب ، ط، ١٩٨٨ .

٢٤. الوردي ، علي ، مهزلة العقل البشري ، دار التعارف ، د.ب ، ١٩٥٨ .

٢٥. وين ، رالف . قاموس جون ديوي للتربية ، تر . محمد علي العريان، مطبعة مصر ، مصر ، ١٩٦٤ .

٢٦. يعقوب فام . البراجماتزم او مذهب الذرائع ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ب ، ١٩٣٦ .

٢٧. يوسف كرم . تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار القلم ، بيروت ، د. ت .

٢٨. ـ . تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف ، مصر ، ط١ ، ١٩٦٣.

29. Devine , Elizabth . Thiker of the 20 th century , firethorn , Paris, 1985.